المطلب السابع

دخول حرف النداء: (يا) على الاسم

يتبيَّنُ ممَّا سبقَ أنَّ النِّداءَ هو طلبُ الإقبال بالحروف (يا) وإخوته، والمقصود هنا: (يا)، حيث لم يقع النِّداء القرآني إلا بـ (يا) كما حقَّقتُ ذلك.

وأوَّل ما ينبغي أن يعلم أن الاسم يتميَّز عن الفعل بعلامات منها:

النِّداء: قال في (الألفيَّة):

(بالجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنِّدَا وَأَلْ ***وَمُسْنَدٍ لِلِاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ)[1].

نحو: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا﴾ [الأعراف:٧٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤]، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ [هود:٤٨]، ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود:٥٣]، ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود:٨١]، ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود:٨٧]، فكلٌّ من هذه الألفاظ التي دخلت عليها (يا) اسم، وهكذا كلُّ منادى[2].

وقد اعترض بدخول (يا) على الفعل في قراءة من قرأ: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾ [النمل:٢٥]-بتخفيف اللَّام- فقد قرأ الكسائيُّ: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾ -بتخفيف اللَّام- و﴿ألا﴾ تنبيه، وبعدها (يا) التي ينادى بها، والابتداء ﴿اسْجُدوا﴾ على الأمر بالسُّجود، فالمعنى: (ألا يا قوم اسجدوا لله)، خلافًا لهم، وحمدًا لله عَزَّوَجَلَّ أنكم لم تكونوا مثلهم في الطُّغيان، بل هداكم الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الكلام يكون منقطعًا مما قبله على أنَّ ما قبله تمام، ويكون ما بعده كلامًا معترضًا من غير القصَّة الماضية، إمَّا من سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإما

---

(١) ألفيَّة ابن مالك (ص:٩).

(٢) شذور الذَّهب (٢٢/١). وانظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (٢١/١)، أوضح المسالك (١٩/١).

من الهدهد، على تأويل (يا هؤلاء اسجدوا)، فلمَّا كف ذكر هؤلاء اتصلت (يا) بقوله: ﴿اسْجُدوا﴾، فصار (يسجدوا) كأنَّه فعل مضارع إذا أدرجت الكلام، والعرب تقول: (ألا يا ارحمونا)، أي: (ألا يا هؤلاء ارحمونا)؛ لأنَّ (يا) لا يلي الفعل إلا مع إضمار. والمعنى: (ألا يا قوم اسجدوا)، فحذفت الأسماء، وقامت (يا) مقامها، وكان هذا الحذف في النِّداء خاصَّة، وقرأ الباقون بالتَّشديد[1].

قال الزَّركشيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (البرهان): "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾ على قراءة الكسائيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتخفيف (ألا) على أنها تنبيه، و(يا) نداء، والتَّقدير: (ألا يا هؤلاء اسجدوا لله). ويجوز أن يكون (يا) تنبيهًا، ولا منادى هناك، وجمع بينهن تأكيدًا؛ لأنَّ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور، واستدعاء إقباله على الآمر، وأمَّا على قراءة الأكثر بالتَّشديد فعلى أنَّ (أن) النَّاصبة للفعل دخلت عليها (لا) النَّافية، والفعل المضارع بعدها منصوب، وحذفت النُّون علامة النَّصب فالفعل هنا معرب، وفي تلك القراءة مبنيٌّ"[2].

وقد اعترض أيضًا بقولهم: فما تصنع بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧]، حيث دخل حرف النِّداء على ما ليس باسم؟

والجواب يقال فيه ما قيل في سابقه.

وقد سبق في بيان أداة النِّداء المستخدمة في القرآن الكريم ما له صلة فيما نحن بصدد بيانه هنا، وقد أُعيد هنا للوفاء ببيان دخول حرف النِّداء (يا) على الاسم في الخطاب القرآني مستقلًّا، وزيادةً في توضيح المعنى، وذلك من خلال الإعراب التَّفصيلي.

---

(١) بتصرُّف عن (حجَّة القراءات) (١/٥٢٦–٥٢٧). وقيل: قرأ ابنُ عباس وعبد الرَّحمن السلمي والحسن وأبو جعفر وحميد الأعرج: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾. انظر: حجَّة القراءات (١/٥٢٦–٥٢٧)، النَّشر (٢/٣٣٧)، الإتحاف (ص:٣٢٦)، إبراز المعاني من حرز الأماني (٢/٣٣٥)، معاني القرآن، للنَّحاس (٥/١٢٦)، المحرَّر الوجيز (١/٤٥٠)، تفسير أبي السُّعود (٦/٢٨١)، البيضاوي (٤/١٥٨)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/٥٣٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣/١٨٠).

والخلاصة في ذلك:

أنَّ قراءة الكسائيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ألا يَا اسْجُدوا﴾، لها توجيهان، وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾:

التَّوجيه الأوَّل: أن يقال: إنَّ (يا) حرف تنبيه.

والتَّوجيه الثَّاني: أن يقال: إنَّ (يا) حرف نداء والمنادى محذوف، ويكون التَّقدير: (يا هؤلاء اسجدوا)، و(يا قوم ليتنا نرد)..[1].

ومال إلى هذا الرأي الفرَّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (معاني القرآن الكريم)[2]، وابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (التَّسهيل)[3]، والأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4] في (البيان)[5].

(١) انظر: تفسير الطَّبري (١٩/ ٤٤٧)، تفسير أبي السُّعود (٢٨١/٦)، معاني القرآن، للنَّحاس (١٢٦/٥)، تفسير البغوي (٥٠٠/٣)، زاد المسير (٣٥٩/٣)، الإتقان (٥٢٧/١)، الحجَّة في القراءات السَّبع (٢٧١/١)، مشكل إعراب القرآن (٥٣٣/٢)، بحر العلوم (٢/ ٥٧٩)، الكشف والبيان (٢٠٣/٧)، ابن عادل (١٤٢/١٥)، النسفي (٦٠١/٢)، الخصائص (١٩٦/٢)، اللَّامات (٣٧/١)، الإنصاف في مسائل الخلاف (٩٩/١).

(٢) معاني القرآن الكريم، للفرَّاء (٢٩٠/٢).

(٣) التَّسهيل، لابن مالك (٣٨٩/٣).

(٤) هو عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدِّين الأنباري، من علماء اللُّغة والأدب وتاريخ الرِّجال. كان زاهدًا عفيفًا، خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئًا. سكن (بغداد) وتوفي فيها [٥٧٧هـ]. انظر: الأعلام (٣٢٧/٣)، البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللُّغة (ص:٣٣)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي (٢٣٩/١)، وترجم له في (تاريخ بغداد) (٢٣٩/١٥)، بغية الوعاة (٨٦/٢)، طبقات الشَّافعية، لابن قاضي شهبة (١٠/٢)، طبقات الشَّافعية الكبرى، للسُّبكي (١٥٦/٧)، معجم المؤلفين (١٨٣/٥).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢٢١/٢).